المجلة العالمية لبحوث القرآن
المجلد ٣، العدد (٤)، يونيو ٢٠١٣م، ص١٥٩-١٨٦

الإسراء والمعراج: معجزات في معجزة (قراءة تاريخية وفيزيائية وفلكية كونية)

أ.د. حميد مجول النعيمي*

Isra and Mi'raj: The Miracle of Miracles (Readings from History, Physics and Astronomy)

Abstract :

While many scholars and researches have studied Isra and Mi'raj from a historical or Shari'a (Islamic legal) perspective, very few have approached this phenomenon from an astronomical or scientific outlook. The current study discusses this miracle through the study of physical, mathematical, biological, parapsychological, and astronomical readings and indicators to make evident the supernaturalism of this event that completely defies all laws of physics, astronomy and parapsychological phenomena. The importance of studying this miracle, in light of existing scientific astrological data, is to make Muslims and non-Muslims aware of the reality of the miracle. The study indicates that the accepted estimated diameter of the visible universe, as well as any future change in this estimate due to space technological developments, bears no impact on the concept of Isra and Mi'raj. The study also makes clear that the greater the difference between and complexity of these laws, the more supernatural this miracle becomes. It further suggests that any congruity between such laws in no way negates the supernaturalism of this event. The study shows that Isra and Mi'raj are two complementary integral miracles based upon faith and the belief in Allah and His messenger (PBUH), rather than on the universal laws of physics or parapsychology, since these miracles appear to defy such laws and phenomena. The study contains two parts: The first part concern Isra and Mi'raj from a historical and philosophical point of view and the second part investigates the miracle from a physical and biological perspective.

* أستاذ فيزياء الفلك الفضائية، نائب مدير جامعة الشارقة للشؤون الأكاديمية، الإمارات العربية المتحدة، ورئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك.

الملخص

لقد تحدث كثير من العلماء والباحثين الأجلاء وكتبوا عن الإسراء والمعراج تاريخياً وشرعياً، ولكن القليل جداً مَن كتب عنها علمياً وفلكياً، لذلك يأتي هذا البحث ليسد هذه الثغرة بدراسة هذه المعجزة من خلال قراءات وإشارات فيزيائية ورياضية وبيولوجية وباراسايكولوجية وفلكية كونية، وهو سبب اختيارنا لهذا الموضوع. وتأتي أهمية الموضوع في ضرورة دراسة هذه المعجزة علمياً في ضوء المعطيات العلمية الفلكية لإدراك حقيقة المعجزة للمسلمين وغيرهم، علماً بأن تقديرات قطر الكون المرئي المعمول بها الآن فلكياً ومتغيراتها المستقبلية بحكم تطور العلوم والتكنولوجيا الفضائية، لا تُغير ولا تؤثر في مفهوم الإسراء والمعراج شيئاً. والهدف من هذه الدراسة أنه كلما زادت القوانين بُعداً وتعقيداً زادت خارقية المعجزة، وأن أي توافق بينهما لا يزيل عنها صفة الإعجاز، وبذلك نجد أن الإسراء والمعراج معجزتان متكاملتان بمنظور الإيمان بالله ورسوله، وإن كانتا لا تخضعان لقوانين الفيزياء الفلكية الكونية والباراسايكولوجيا. وقد جاء البحث في قسمين: الأول عن الإسراء والمعراج تاريخياً وفلسفياً، والثاني عن المعجزة فيزيائياً وبايولوجياً.

الكلمات الدالة: الإسراء والمعراج، وفيزيائية وبيولوجية، وباراسايكولوجية، فلكية.

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

الإسراء والمعراج معجزات في معجزة فهي كثيرة ومتنوعة، عبادية مباشرة، وتبشيرية وتحذيرية، وعلائقية تقابلية مع الرسل والأنبياء الذين سبقوه، ووصفية لبعض ما حصل ويحصل لأناس وأقوام من جراء حسناتهم وسيئاتهم ليتوثق الناس من خارقية الإسراء والمعراج بشيء من العنت والمعاناة، وصولاً إلى التصديق فالإيمان الراسخ من غير جدل أو جدال! في الآية. نجد حصر إنجاز (الإسراء) بالله سبحانه بقوله (سبحان الذي

أسرى بعبده)، لذا فإنه (أمر) عند الله لقدرته تعالى، لكنه (أكبر) من معجزة عند البشر لخارقيتها المذهلة، ثم تحدثت الآية عن المسافة فحصرتها بين (المسجد الحرام والمسجد الأقصى)، أما (الآيات) بمعنى ما يراه الرسول من معجزات تجاوز قدرات البشر على التحليل فإنها في السماوات بل في البعد (اللانهائي) بعد السماوات وفوقها، أي السماوات السبع. وبذلك فإن علوم وتكنولوجيا الإنسان سواء في الوقت الحاضر أو في المستقبل – ومهما بلغ التقدم– سوف لن تكون قادرة على معرفة تفاصيل الرحلة وتفسيرها، وبذلك ستبقى الإسراء و المعراج معجزات عظيمات للرسول ﷺ.

وقد وجدنا خلال هذه الرحلة الكريمة معجزات عديدة تجاوز قدرات البشر (مهما تطور) على التحليل، فإنها في السماوات وفوقها (في الكون الحقيقي الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه). وهذه المعجزات حدثت لرسول الله ﷺ وحده وخُرقت فيها قوانين السماوات لأنه الوحيد الذي أسرى به الله سبحانه وتعالى وفتحت له أبواب السماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى بالجسد والروح معاً، وبذلك كانت النتيجة بأن القوانين الأرضية الكونية التي يعرفها الإنسان حالياً أو مستقبلاً تقف كلياً عند هذه المعجزة الإلهية.

الشكل (١٣-١) صورة تخيلية تبين فيها مكة المكرمة والقدس الشريفة

http: //www. qudsmedia. com/?p=68207

القسم الأول
الإسراء والمعراج تاريخياً وفلسفياً

أولاً: الإسراء والمعراج تاريخياً وشرعياً

أجمعت العديد من كتب الحديث والسيرة والتاريخ على الرحلة العظيمة المعجزة للرسول ﷺ وقالوا عنها:

إنّ الله عز وجل منح الرسول ﷺ أعظم ليلة وأعظم رحلة في التاريخ الكوني وهي الإسراء والمعراج التي حصلت قبل الهجرة، إذ أرسل له البُراق ليأخذه من مكة المكرمة إلى القدس بسرعةٍ وظروف لا يعلمهما إلا الله، فوصل النبي ﷺ إلى فلسطين فوجد كل الأنبياء والرسل في انتظاره فصلى بهم، ثم خرج به جبريل عليه السلام وعرّج به إلى السموات السبع، ويومها طرق الرسول باب السماء ففتح له ملك السماء وأعطاه كأسين أحدهما به لبن وآخرٌ به خمر، فأخذ الرسول ﷺ اللبن وشرب منه النصف، فقال له جبريل: لقد هُديتَ إلى شُرب اللبن بالفطرة وبما أنك شربت نصفه فإن نصف أمتك سوف تدخل الجنة.

فيبدأ المعراج من صخرة المعراج إلى السماءِ الأولى حيث التقى بسيدنا آدم وسلم عليه، فقال له آدم أهلاً بالولد الصالح والنبي الصالح، ثم مرَّ الرسول بالسماء الثانية فالتقى بالنبيين عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، ثم صعد إلى السماء الثالثة فوجد سيدنا يوسف عليه السلام، ثم صعد إلى السماء الرابعة فالتقى سيدنا إدريس عليه السلام، وبالسماء الخامسة وجد سيدنا هارون عليه السلام، ثم أخذه جبريل إلى السماء السادسة فالتقى سيدنا موسى عليه السلام، وأخيراً وصل إلى السماء السابعة فوجد سيدنا إبراهيم عليه السلام[1]، وهو

(١) ورد ذكر ذلك في الحديث عند البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ حديث رقم (٣٤٩، ١٥٥٥)، وعند مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم (١٦٣).

يُثني ظهره للبيت المعمور، وهو مثل الكعبة تماماً، وفي الحديث: "أنه يدخل البيت المعمور في السماء من الملائكة كل يوم سبعون ألف ملكٍ لا يعودون إليه أبداً[١]".

ويومها رأى الرسول ﷺ أهل النار، ورأى بجانبهم لحمة طيبة ولحمة نتنة فيأكلون النتنة ويتركون الطيبة فيقول الرسول ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟ فيرد جبريل عليه السلام هؤلاء الزناة وهم يتركون الحلال ويأتون الحرام، ورأى يومها أيضاً قوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم، فسأل الرسول ﷺ من هؤلاء؟ فقال جبريل عليه السلام: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما[٢]، كما رأى أيضاً أناساً لهم أظافر من نحاسٍ يخدشون بها وجوههم وأجسامهم، فقال الرسول: من هؤلاء يا جبريل؟ فرد جبريل عليه السلام هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم"[٣]،

ورأى أيضاً أهل الجنة، وحين لقي سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[٤]، ويومها شمّ الرسول ﷺ رائحة طيبة جداً فقال: ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟ قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، فقلت: ما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي فقالت: لا ولكن ربي وربك ورب أبيك الله، قالت: وإن لك ربا غير أبي؟ قالت: نعم، قالت: نعم، قالت: فأعلمه ذلك؟ قالت: نعم، فأعلمته

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، وأبو عوانة ١/ ١٢٢، وابن حبان (٤٨)، وابن منده (٧١٧) من طريق همام، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد ٤/ ٢٠٧، والبخاري (٣٢٠٧)، ومسلم رقم (١٦٤)، والطبري ٢٧/ ١٦، وابن منده (٧١٦) من طريق قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة. وأخرجه مسلم (١٦٢)، والطبري ٢٧/ ١٧ و١٨، والحاكم (٣٧٥٣)، والبغوي (٣٧٥٣) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٣٤٥.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٨٧٨)، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٥/٩، ١٠.

(٤) سنن الترمذي حديث رقم ٣٤٦٢.

فدعا بها، فقال: يا فلانة، ألك رب غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أخذ أولادها يلقون فيها واحدا واحدا، فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد فتدفنا جميعا، قال: وذلك لك علينا، فلم يزل أولادها يلقون في البقرة حتى انتهى إلى ابن لها رضيع فكأنها تقاعست من أجله، فقال لها: يا أمه، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة[١]، فهذه صاحبة الرائحة الطيبة التي فرح الرسول كثيراً بها كما فرح بأُناسٍ كثيرين غيرها رآهم في الجنة.

ثم عمل على تخفيف الصلاة من خمسين فرضاً إلى خمسة فروض في اليوم والليلة، فكان له الفضل على البشرية جمعاء، ثم وصل الرسول ﷺ إلى مكانٍ سُمع فيه صرير الأقلام، ورأى نهر الكوثر وحلاوته وأطرافه الذهبية، ورأى صاحب أدنى عباد الله منزلة الذي يدخل الجنة وله ملك في أرضه المسير إليها يقارب ١٠٠٠ سنة، ورأى أيضاً أعلى عباد الله منزلة ذلك الذي يرى الله صباحاً وعشياً، ويومها تعدى الرسول كل الأبعاد فوصل حتى إلى سدرة المنتهى، أي سقف النهاية لأنه آخر الأنبياء وأحبهم إلى الله تعالى ثم إلينا، وبعدها عاد إلى مكة المكرمة وإلى سريره وفراشه الذي كان مازال دافئاً (سبحان الله)[٢].

ثانياً: طبيعة الإسراء والمعراج

تعددت روايات الإسراء من حيث علاقتها بجسد رسول الله وروحه ﷺ، ومن الناحية الموضوعية والمنطقية يمكن إجمال (فحواها) كما يأتي حسب تبلور مواقف المسلمين والمشركين منها، لعلاقة ذلك بمنهجنا هنا، وهي لا تخرج عن هذه الاحتمالات:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠٩/١، رقم ٢٨٢٢)، والطبراني (٤٥١/١١، رقم ١٢٢٧٩)، قال الهيثمي (٦٥/١): رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط. والحاكم (٥٣٨/٢، رقم ٣٨٣٥)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٣/٢، رقم ١٦٣٦).

(٢) وردت ضمن الحديث الوراد في صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ حديث رقم ٣٤٩، ١٥٥٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم ١٦٣.

١- نفي الإسراء والمعراج بالجسد والروح وتكذيب خبره: تولى ترويجه المشركون (لمقايسته) مع الوضع الطبيعي لقطع المسافة بمدة شهر للذهاب وشهر للإياب، وأصاب كثيراً من المسلمين (شك) في صحة (نقل) الخبر وليس في مصدره. إلا أبا بكر الذي صدقه تماماً وفي أول توثقة بأن رسول الله قال ذلك.

٢- بالروح فقط: قُبل هذا النبأ بتحفظٍ وتأويلٍ على أنه حلمٌ أو رؤيا صادقة ولم يقبل على أنه فصل الجسد عن الروح فقط.

٣- بالجسد فقط: لم يُطرح مثل هذا الاحتمال ولم يروعنه شيء لتلازم الجسد والروح في النص القرآني أصلاً وفي التنفيذ الإعجازي ثانياً، وأن الرحلة بالجسد أصعب تصديقاً من الرحلة بالروح فقط.

٤- قبول الإسراء والمعراج بالروح والجسد معاً: تأكيداً بعد ظهور الأدلة (المادية) النقلية و(العقلية) معاً، وهو ما يعنينا هنا في المتابعة التحليلية لأن الأدلة الظاهرة أسكتت المشككين والمشركين معاً، إذ تتلخص بوصف رسول الله ﷺ لبيت المقدس (بدقةٍ وشمولٍ)، فضلاً عن إخباره قريشاً عن قوافل تعود لهم تعرضت لبعض المتاعب في الطريق، فجاء التوثق منها مطابقاً لما أفاده رسول الله تماماً.

ومن ثم صار مؤكداً (تصديق) ما حدث في المعراج كما في سورة النجم، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ – ١٨] لأن تصديق ما حصل في الإسراء أصبح عاملاً ممهداً لتصديق المعراج وتقبل فروض العبادات وأولها وأهمها الصلوات الخمس بعد العودة مباشرة.

ثالثاً: الإسراء والمعراج فلسفياً

أما العلاقة الفلسفية – الحكمية بين الإسراء والمعراج فهي علاقة تدرج من خرق المعجزة لما هو معروف فيزيائياً إلى خرقها لما هو غير معروف على وجه الدقة والكمال. فالسير على الأرض أو التحليق في أجوائها يمكن إخضاعه لقوانين الحركة والسرعة والطاقة، وأما التحليق في فضاء الكون فإنه (قد) يخضع لقوانين أخرى مضافة فضلاً عن القوانين المذكورة، وأن القوانين الأخرى هذه قد تكون معروفة الآن وقد تكون مجهولة وسيعلمها أو يكشف عنها الإنسان غداً، في يومٍ ما من المستقبل البعيد، وكلما ازداد القانون (بُعداً) أو (تعقيداً) زادت خارقية المعجزة له درجات، وأن أي توافق بينهما لا يُزيل عنها (صفة) الإعجاز (كلياً) أو (جزئياً) وهو الأرجح، لأن التوافق (الجزئي) موجود في كثير من العلوم إزاء المعجزات، ولا يُقلل هذا التوافق من شأن المعجزة إلا أنه يدفع من شأن العلم باقترابه من دلالة المعجزة وآليتها، من هنا نقول: **نبدأ بالإيمان بالمعجزة وننتهي بالحكم على العلم، وليس العكس!** لأن الإيمان بالعلم على أساس، أو بهدف، الحكم على المعجزة لا يوفر الحد الأدنى من (الموضوعية) إزاء مفهوم الخارقية في المعجزة بمعنى تجاوز المألوف والمتعارف عليه من القوانين القابلة للتطوير والتغيير بشرياً.

إذن، إنَّ فهم أسبقية الإسراء في التحقق مجازاً وافتراضا يمهد السبيل لفهم أسبقية المعراج في الإعجاز حقيقة، إذ هما معجزتان متكاملتان بمنظور الإيمان لا الفيزياء الحديثة والفيزياء الفلكية والباراسايكولوجي كما أنهما لا تخضعان لقوانينهما وإن توافقاً جزئياً معهما في بعض الحلقات التنفيذية.

وأن معجزة الإسراء والمعراج معاً: حدثت لرسول الله محمد ﷺ (وحده) أي لم يشهدها معه جمع من المؤمنين (من الأصحاب والحواريين مثلاً) وخُرقت له فيها قوانين السماء، ذلك أن رسول الله هو البشر الوحيد الذي أسرى به الله سبحانه وتعالى، وهو

البشر الوحيد الذي فُتحت له أبواب السماء حتى وصل إلى سدرة المنتهى بالجسدِ والروحِ معاً[١].

يقول الله تعالى في الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، ثم ينتقل سبحانه إلى الرسول النبي (موسى) فيقول الله في الآية الثانية ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢] إذ إن هذه الانتقالية ذات مغزى فلسفي عميق، فلقد ترك الله شرح (الإسراء) و(الآيات) التي نسبها الله تعالى لنفسه –بوصفها معجزات للبشر– لرسوله الكريم وهي كثيرة ومتنوعة، عبادية مباشرة، وتبشيرية وتحذيرية، وعلائقية تقابلية مع الرسل والأنبياء الذين سبقوه، ووصفية لبعض ما حصل ويحصل لأناس وأقوام من جراء حسناتهم وسيئاتهم ليتوثق الناس من خارقية الإسراء والمعراج بشيء من العنت والمعاناة وصولاً إلى التصديق، فالإيمان الراسخ من غير جدلٍ أو جدال!

في الآية الأولى نجد حصر إنجاز الإسراء بالله سبحانه بقوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، لذا فإنه (أمر) ليس معجزاً عند الله لقدرته تعالى لكنه (أكبر) من معجزة عند البشر لخارقيتها المذهلة، ثم تحدثت الآية عن المسافة فحصرتها بين (المسجد الحرام والمسجد الأقصى)، أي بين مكة والقدس أما (الآيات) بمعنى ما يراه الرسول ﷺ من معجزات تجاوز قدرات البشر على التحليل فإنها في السماوات بل في البعد اللانهائي بعد السماوات وفوقها... قبل نهاية مسافة قطر الكون المرئي أو بعدها... أي إن السماوات السبع ليست هي الكون كله، وهذا صحيح ومتفق عليه في العلم القرآني

(١) راجع: معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي ص ١١٥، ١٢٤، ١٢٨.

والعلم الوضعي – الفلك، إذ ورد في الصحيح! (ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل) أي ما بعد السماوات السبع.

رابعاً: الإسراء والمعراج علمياً

يكمن إعجاز هذه المعجزة في تفرّد سيدنا رسول الله (محمد) ﷺ بمواجهتها والتيقن من آياتها الإعجازية الكثيرة بتحدٍ اجتماعي عظيم عمّ الناس كلهم ولكن بعد عناءٍ ونصب ليسا قليلين أو هيّنين على جسم رسول الله ونفسه معاً. وبمرور الزمن – عقوداً وقروناً – صار التحدي علمياً وتطبيقياً (بعد أن رسخ الإيمان بالمعجزة ومصداقيتها اجتماعيا ونفسياً وروحياً) حتى قال البعض: (أثبتْ) هذه المعجزة بالعلم نؤمن بها، وإلا ...! وما تبقى في الجملة واضح كما أظن، وما دروا أن خارقية هذه المعجزة تجعل القوانين المكتشفة دونها تأثيراً. لذا جاء هذا المبحث لإثبات خارقية المعجزة لقوانين الفيزياء والبايولوجيا وظواهر الباراسايكولوجي معاً وليس لإثباتها بهما سوياً! وهذا المنهج قد (يثبط) من همة العلميين التجريبيين الذين لا يؤمنون إلا بالتجريب في البرهنة على صحة فرضية ما Hypothesis أو نظرية Theory أو حتى قانون Law إذ إن هذا المنهج التجريبي قاصر عن إدراك ما جاوز القوانين التجريبية نفسها فكيف نحكم بالجزء التجريبي على الكل وبالأدنى على الأعلى وبالدون القليل على الفوق الكثير؟!

وبلغة العلم نستطيع القول مثلاً: لا يمكن الحكم بالهندسة (الإقليدية) على نظم الهندسة (الفضائية) بتطابق تام وتجانس محكم دائماً فهناك ثغرات واختلافات كثيرة تمنع التطابق والتجانس بسبب اختلاف (نسبية Relativity) المفاهيم والمعايير القياسية في الأرض عن السماء كما في (الطول، الوزن، الزمن، المكان. .)، وليس كل ما يحدث في الأرض يمكن نقله إلى السماء– تقليدياً من غير إعجاز –. إذ نقصد بالإعجاز هنا (خرق) القوانين الطبيعية المعروفة أو السائدة، وقد يكون الخرق بموجب قانون (اللاقانون) لأنه فوق إدراك البشر الأسوياء والبشر الذين يتميزون بمهارة ESP – الإدراك فوق الحسي– من أي نوع كان بإطار ظاهرية الباراسايكولوجي وخارقيته سواء بسواء حتى الآن.

الإسراء – أفقياً – فوق سطح الأرض وضمن أجوائها Atmosphere وجاذبيتها، هكذا نفهم عن اللغة أصلاً بقرينة العلم اقتراناً، فاللغة من غير علم تبعدنا عن منهجنا.

والمعراج –رأسياً– من على سطح الأرض ومن خلال أجوائها إلى جوف السماوات حتى (آخر) ما يأذن الله عند (سدرة المنتهى)، مما لا نعلم مقابله في علم الفلك سوى حافة الكون المرئي أما المسافة الكونية من الأرض حتى أبعد نقطة في الكون التي قدّرها هبل Hubble بما يعادل (٥. ٢ × ١٠^٩) سنة ضوئية ومؤخراً قُدرت بـ (٧. ١٣ × ١٠^٩) سنة ضوئية أو أكثر وأن السنة الضوئية = (٩. ٤٥ × ١٠^١٢كم) فإنها ليست هدفاً بذاته لأن (المعراج) قد يصير أبعد وقد يصبح أقرب من هذا التقدير فكل ما يعرج (في) السماء و(إلى) السماء له حدود يقف عندها بمشيئة الله، لذا فإن تقديرات قطر الكون المرئي المعمول بها (الآن) ومتغيراتها المستقبلية بحكم تطور (العلم) لا تُغيّر من مفهوم (المعراج) شيئاً ولا تؤثر فيه في الواقع إلا أن الإنسان العادي – على الأرض– لا يرى بعينه المجردة إلا ما يسمى في علم الفلك (القبة السماوية Celestial Sphere) وما تحتويه من كواكب ونجوم ومجرات وحشود مجرية .... الخ التي يرتبط بعضها ببعض بقوانينٍ فيزيائية – فلكية معروفة مثل قوانين كبلر ونيوتن وبخاصة قانون الجذب العام لنيوتن في العلاقة بين الكتلة والمسافة وهو أبسطها معرفة بين المتعلمين. (كل كتلة في الكون تجذب أية كتلة أخرى بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين وعكسياً مع مربع البعد بين مركزيهما) وهو ناتج القانون الثالث في الفعل ورد فعل: (لكل فعل هناك دائماً رد فعل يساويه في المقدار ويعاكسه في الاتجاه ويشترك معه في خط الفعل) الذي أُستنبط من العلاقة بين الشمس والكواكب السيارة[1].

(1) Vakoch, Douglas A., Extraterrestrial Altruism, Evolution and Ethics in the Cosmos, Series: The Frontiers Collection, Springer, New York / Heidelberg/ Melbourne, 2013, pp212.

القسم الثاني

المعجزة فيزيائياً وبايولوجياً

أولاً: خارقية المعجزة فيزيائياً

نستأذن العقل والإيمان معاً فنطرح الافتراضات الآتية بتصور موضوعيتها ومن ثم تأكيد خارقية المعجزة –علمياً –.

١– إن انتقال جسم رسول الله ﷺ وروحه إلى علياء السماء وإلى البيت المقدس يتطلب (تكيفاً) بيولوجياً وفيزيائياً بمستويين غير منفصلين بمعايير البيولوجيا والفيزياء (الطبيعة والبيئة الأرضية) التي تجعل من هذا الانتقال (طبيعة) جديدة للجسم البشري. إذ إن أجسام الملائكة (مخلوقة) لأجواءٍ غير التي يتعامل معها البشر، وببيئةٍ من غير التي خُلق عليها البشر، ولكن لا يِصُح (افتراض) وجود (أشياء) خارجية توافرت لرسول الله فتكيّف بها، لأنه لم يرد لها ذكر في التفسير والراويات. وفي الوقت نفسه حصل ما يستثني التأمل في هذا الصدد عند ابن كثير[١]: قال البخاري عن أنس بن مالك قال: (كان أبو ذر يُحدّث رسول الله ﷺ قال " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، **فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وأيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا ...**)[٢].

ترى لماذا أنجز جبريل عليه السلام هذه المهمة؟!

ثم نقرأ أيضاً عن ابن كثير[٣]: قال الإمام البخاري عن أنس بن مالك يقول: ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم، حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٧/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ حديث رقم (٣٤٩، ١٥٥٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم (١٦٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/٥.

عينه ولا ينام قلبه – وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم– فلا يكلموه حتى احتملوه، **فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبقه حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله بماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشاه صدره ولغاديده – يعني عروق حلقه – ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا...)**[1].

ترى كم هي متوافقة مع ما سبق، ولماذا فعل ذلك جبريل؟! لو دققنا النظر في أواخر الفقرتين لوجدناهما واحدة (فعرج بي إلى السماء الدنيا) و(ثم عرج به إلى السماء الدنيا)، أليس بعملية شق الجوف البطني – الصدري وغسله وحشوه بالحكمة والإيمان علاقة (بطبيعة) الرحلة (الكونية)؟!.

لا نتردد مطلقاً، فنقول: نعم، لها كل العلاقة، فمن الناحية البيولوجية تتضمن (تحويراً) لبينة الجسم البشري ليلائم طبيعة المحيط (الجديد)، وبخاصةٍ ما يتعلق بتعذر استنشاق الأوكسجين وتوقف عمليات الأيض Metabolism معاً.

وفيزيائياً: مساعدته على التكيف أو (خرق) قوانين الفيزياء المعروفة وبخاصة ما يتعلق منها بنظرية اينشتاين النسبية كما يأتي قدر ما يهمنا منها هنا:

١–(لا يمكن لأية مادة أن تسير بسرعة الضوء، وأن سرعة الضوء هي أكبر السُرع في الطبيعة) ولما كان جسم رسول الله (مادة)، فإن خرق هذا القانون – عند تقدير سرعة الجسم بسرعة الضوء – يتطلب تحويراً مَا ينقله من جو (المادة) إلى جو (اللامادة) أمد بسير الجسم دون سرعة الضوء ومن دون أن يتمزق، أو بتثبيت أثر القانون نفسه بعزل الجسم عن تأثيره.

٢–(إذا تحرك جسم بسرعةٍ عاليةٍ جداً فإن كتلته تتغير، أي إن الكتلة كمية نسبية وإنها تزداد بازدياد سرعة الجسم)، ولما كان جسم رسول الله ﷺ ينتقل على براق قد تصل سرعته سرعة الضوء، فإن كتلة جسم رسول الله ﷺ ستصل إلى (مالا نهاية له) وهذا مستحيل في الواقع وضمن الإعجاز نفسه لأنه حسب الروايات كافة احتفظ

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما)، حديث رقم (٧٥١٧).

رسول الله ﷺ بكامل شخصيته النفسية والبدنية (وبكامل كتلته)، لذا فإن (التوحيد الذي جرى بغسل الجوف يعني صورة من التكيف الفيزيائي لمواجهة هذه المشكلة من وجهة نظر مقبولة كما نعتقد. وبعكسه فإن الإسراء والمعراج بالروح فقط يصير أكثر قبولاً)[١].

٣-(إن أيَ تغير في طاقة الجسم يقابله تغير في كتلته، أي إن كتلة الجسم مقياس لما يحتويه الجسم من طاقة) وقد وضع اينشتاين العلاقة بين الطاقة والكتلة حسب المعادلة الآتية: الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء ($E = mc^2$).

بزيادة كتلة الجسم وثبوت سرعته تزداد طاقته وبزيادة سرعة الجسم وثبوت كتلته تزداد طاقته.

لما كان زخم أي جسم يساوي: كتلته × سرعته، ولأن كتلة جسم رسول الله ﷺ ثابتة وسرعته عالية إلا أنها مجهولة ونفترضها دون سرعة الضوء فإن الزخم المتولد عن حركته الهائلة يكون عالياً جداً لا يطيقه جسم (بشر) وذلك يترتب عليه وجوب (تحوير) فيزيائي يجعل من هذا الزخم ضمن تحمل الجسم نفسه لذلك حصل ما فعله جبريل الأمين بهذا الاتجاه في جوف رسول الله ﷺ وبعكسه أيضاً يصير الإسراء والمعراج بالروح أكثر قبولاً[٢].

ليس من الموضوعية القول هنا إننا فسرنا المعجزة بمعجزة أخرى، إلا أن من الموضوعية الصحيحة أن نقول إننا نعد المعجزة التي قام بها جبريل إزاء (جسم) رسول الله ﷺ وسيلة لتيسير تحقق المعجزة (الأم) وليس تفسيراً لها محدودة الغرض بيولوجياً وفيزيائياً بالتكيف الفضائي والكوني.

---

(١) النعيمي: الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، الدرا العربية، بيروت، ٢٠٠١م، ص٢٨٥-٢٨٧.

(٢) النعيمي وفياض النجم: فيزياء الجو وافضاء، إصدار وزارة التعليم العالي، العراق، ١٩٨١م، ٣٦/٢، ٦٥.

ثانياً: الاتجاهات الحركية الأرضية الكونية للإسراء والمعراج:

هناك حاجة قائمة لفهم هذه الوسيلة بالتوافق مع ما ورد من روايات شرح الإسراء والمعراج ضمن المخططات الحركية (الأرض- الكونية) كما في الاتجاهات الآتية:

١- **مكة ← السماوات العليا (سدرة المنتهى) ← بيت المقدس**

ويمكن تمثيلها بمثلث حركي :

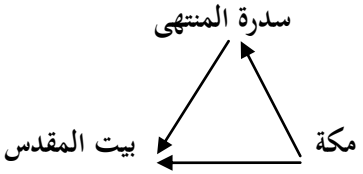

٢- **مكة ← بيت المقدس ← سدرة المنتهى**

ويمكن تمثيلها بمثلث حركي:

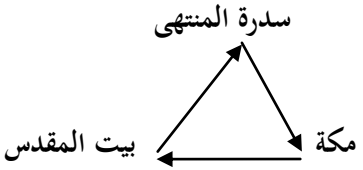

٣- **مكة ← بيت المقدس ← سدرة المنتهى ← بيت المقدس**

ويمكن تمثيلها بمثلث حركي:

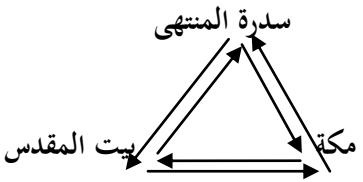

في أي مثلث حركي من المثلثات السابقة لإسراء رسول الله ﷺ نجد نقطة البدء في مكة (المسجد الحرام)، وأن بداية الحركة مهمة تماماً من وجهة نظر فيزيائية على وفق قانوني نيوتن الأول والثاني، إذ نجد منطوق القانون الأول يقول: (كل جسم يستمر على حالته من السكون أو الحركة بسرعةٍ ثابتةٍ ما لم تؤثر فيه قوة خارجية)، أما منطوق القانون الثاني فهو: (تعجيل أو تسارع أي جسم يتناسب طردياً مع محصلة القوى الخارجية المؤثرة فيه وعكسياً مع كتلته ويتجه باتجاه المحصلة).

وعند محاورة مضمون هذين القانونين نقول بفعلهما على الأرض أولاً، أما في الفضاء الكوني فإن قوانين أينشتاين هي السارية المفعول أولاً. لذا فإننا نرى سكون جسم الرسول ﷺ في فراشه بمعنى أن سرعة حركته (صفر) إلا أنه انتقل بالبراق – أو حتى بدونه – إلى الفضاء بإطار جو الأرض أو خارجه بفعل (قوى) مُحركة خارجية هي بلغة المعجزة والواقع: الله سبحانه، وبلغة الأداء (الخارقي) الأرضي يمكن أن تصبح: Macro P. K. القوى المحركة النفسية الكبرى أو EMT: : Extra Motoric Telepathy القوة الموجهة تخاطرياً، ولكننا هنا نتساءل: من أين يكمن (مصدر) هاتين القوتين؟ أي من الذي أطلقهما نحو جسم رسول الله ﷺ؟! الله سبحانه بصورةٍ مباشرةٍ أو من خلال جبريل الأمين.

ثالثاً: السرعة في الرحلة الكونية ومسافاتها

يجوز القول، ويصح إن غسل جوف رسول الله ﷺ وقلبه وملأه إيماناً، يعني وضع (الاستعداد) البيولوجي والسايكولوجي له في موضع تهيؤ لتقبلٍ إيعازي: Macro P. K. (و)/(أو) EMT، إلا أن مصدر كلا الايعازين يبقى (مجهولاً) في جوف العلم ومعروفاً في قلب الإيمان ...، لأنه هو الله القادر على كل شيء، وإذا ما تطابق العلم مع الإيمان تحقق للعلم نجاح جديد وليس العكس.

يجوز القول، ويصح أيضاً، إن الله سبحانه منح هذه (القوة) الموجهة لسيدنا جبرائيل عليه السلام بالمعنى الفيزيائي – الباراسايكولوجي – وبالمعنى الإعجازي معاً حتى صار

جسم رسول الله جاهزاً لهذه الرحلة العظمى بوصفها أكبر معجزة في تاريخ الرسل، إلا أن قطع هذه (المسافات) يتطلب سرعة ما، ولكن المفهوم المصطلحي للمسافة على سطح الأرض ليس مثيلاً لما في الفضاء الكوني، كما هو ليس مثيلاً في البحار والمحيطات على الأرض نفسها – الميل البحري – فالمسافة في الفضاء الكوني تُقاس بوحدة السنة الضوئية والفرسخ الفلكي Parsec وهو يعادل ٣. ٢٦ سنة ضوئية[١]، وأن البُراق Al-Burak الذي تذكره رواية رئيسة قطع المسافات بين مكة وبيت المقدس في (جو) الأرض، أي إن الميل أو الكيلومتر العادي يصلح لعد هذه المسافة واحتسابها، ولكن ما أن يتوجه البراق إلى (جوف) الكون من خلال السماوات السبع، فإن مفهوم المسافة يتحول إلى الفرسخ الفلكي تماماً فلا ندري كم هي المسافة التي قطعها حتى وصوله سدرة المنتهى وفي عودته منها – بعد رؤيته الآيات العظمى – إلى السماوات السبع وأخيراً إلى جو الأرض ومدينته الحبيبة مكة الأولى بيت المقدس. وليس من الضروري معرفة هذه المسافة بقدر ضرورة تحديد سرعة انتقال (من — إلى) الأرض والسماوات وسدرة المنتهى، نظراً إلى أن المعجزة كلها تحققت في ليلةٍ واحدةٍ أو أقل (في جزء من الليل).

يذكر أينشتاين في نظريته النسبية – الفرضية الأولى: (لا يمكن قياس السُرع بصورةٍ مطلقة. ويمكن فقط تعيين السرع بصورةٍ نسبية نسبة إلى مراقبٍ معين) وقد يُقال (راصد) (Observer) بدلاً من مُراقب والمعنى واحد. لقد اعتقد اينشتاين أن فرضيته هذه تنطبق على كل الأجسام المتحركة وعلى كل الأشياء في الطبيعة ما عدا الضوء عندما ينتقل في الفراغ وبذلك وضع الفرضية الثانية في نظريته النسبية التي تنص على أن (سرعة الضوء في الفراغ تُعد سرعة ثابتة دائماً حتى وإن تحرك المصدر الضوئي أو المراقب بسرعةٍ عالية)، إلا أن اينشتاين أعطى لسرعة الضوء قيمة مقدارها (٢. ٩٨٨ × ١٠^{٨}

[١] انظر: فيزياء الجو وافضاء، النعيمي وفياض النجم ٢/٢٣٣– ٢٧٨.

متر/ثانية أي تقريباً ٣٠٠٠٠٠ كم/ثانية وهي قيمةٌ صحيحة حتى الآن) بمعنى تعذر نقضها أو ابتداع غيرها[١].

عن انتقال الضوء من موقعٍ إلى آخر في الكون نستطيع حساب الزمن اللازم لذلك حسب القوانين الفيزيائية المعروفة.

الزمن اللازم لانتقال الضوء من الشمس إلى الأرض = ٨. ٣ دقيقة.

الزمن اللازم لانتقال الضوء من الشمس إلى كوكب بلوتو = ٤ر١٦ ساعة.

الزمن اللازم لانتقال الضوء من الأرض إلى نهاية المجموعة الشمسية. (على اعتبار أن المسافة تعادل ٧٩ وحدة فلكية) = ٣٣ ساعة.

الزمن اللازم لانتقال الضوء من الشمس إلى أقرب نجم = ٤. ٣ سنة.

الزمن اللازم لانتقال الضوء من المجموعة الشمسية إلى الحافة القريبة من مجرة التبانة = ٢٠٠٠٠ سنة (نصف قطرها ٥٠٠٠٠ سنة ضوئية).

الزمن اللازم لانتقال الضوء من المجموعة الشمسية إلى نهاية الكون المرئي (على افتراض أن نصف قطره = خمسة عشر ألف مليون سنة ضوئية تقريباً) = خمسة عشر ألف مليون سنة تقريباً.

الزمن اللازم لانتقال الضوء بين أقصى حافتي الكون المنظور بحدود ٩٠ بليون سنة.

هذا يعني أن سرعة الضوء وهي أعلى سرعة يعرفها الإنسان ضمن قوانينه الفيزيائية غير كافية إطلاقاً لينقل بها الرسول ﷺ من الأرض إلى أي موقع في الكون، لذلك يحتاج إلى سرعة أكبر من سرعة الضوء ربما بملايين البلايين من المرات لينتقل إلى السماء في جزءٍ من الليل أو حتى في ليلٍ كامل (على فرض أن كافة القوانين الفيزيائية لحركة الأجسام بسرعة الضوء متوقفة وأيضاً على فرض عدم اعتراض الجسم المتنقل لأي جرم سماوي في الكون)[٢].

(بمعنى القوانين الأرضية التي نتعامل معها تقف كلياً عند المعجزة الإلهية).

---

[١] المدخل إلى علم الفلك: النعيمي وجراد، مكتبة جامعة الشارقة، الإمارات، ٢٠٠٩م، ص٢٦١-٢٦٢.

[٢] Lawrence M. Krauss , A Universe from Nothing , Amazon publishers, 2012, pp 317 .

عن سرعة البراق نجد العبارة الآتية (فانطلقت تهوي بنا –البُراق دابةً – يقع حافرها حيث أدرك طرفها) في رواية شداد بن أوس التي نقلها الإمام البزار والطبراني والبيهقي[١]، والعبارة (يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ) في رواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك[٢]، والعبارتان ذات معنى واحد. ولكن بتفسير العبارتين نضع البُعد (الفيزيائي) أمامنا لا محالةً لأن (المسافة) الفضائية التي يقطعها البراق بين (حافره) و(منتهى طرفه) أي الأفق الذي يحدده له امتداد بصره في الفضاء تُعد (خطوة) واحدة يصح تسميتها (**خطوة فضائية كونية**) يمكن تحويلها إلى (نسبة) من الفرسخ الفضائي أو جزء من سرعة الضوء (لو) استطعنا الوصول إلى تقدير دائرة (أفق) بصر البراق، وهذا متعذر في الواقع لأنه جزء من المعجزة غير طارئ عليها إن لم يكن أساسياً فيها.

نؤكد هنا أن سرعة البراق دون سرعة الضوء – كما افترضنا سابقاً – إلا أننا نرى أنها أسرع من سرعة الصوت كثيراً. كلٌ وفق التحليل الأينشتايني لاستحالة تحقق كتلة (لا نهائية) لأي جسم يسير بسرعة الضوء، ولكن على سبيل المعجزة الإلهية قد (يقف) هذا القانون، بل أي قانون آخر كشفه الإنسان، وهو وقانونه معاً من خلق الله، وقد يكشف علم الفيزياء سرعةً (أكبر) من سرعة الضوء في المستقبل فكيف نفسر (استسلامنا) المطلق بفعالية القوانين إزاء حدوث المعجزات؟ يتعين علينا إذن التحوط إزاء مثل هذه الاحتمالات. نصل هنا إلى تأكيد التمسك (بخطوة) البراق وحدة قياس فضائية كونية، مع أننا نؤمن أن نصف قطر (دائرة الأفق) على الأرض هو (أصغر) منه في دائرة الأفق. (فوق) الأرض وعلى أي ارتفاعٍ كان، فكلما ازداد (الارتفاع) كبر نصف قطر دائرة الأفق، إلا أن دائرة الأفق نفسها والارتفاع نفسه يتعرضان (لتغير) مفاهيمي جذري في الفضاء الكوني، بل يختفيان تماماً عند أول خروج البراق من محيط الأرض وأجوائها، هنا تكمن حكمة تعريف سرعة البراق بتحديد (سعة خطوته) من

(١) مسند البزار (البحر الزخار)، ٤١٠/٨ حديث رقم ٣٤٨٤، والمعجم الكبير: الطبراني، حديث رقم ٦٩٩٦، ودلائل النبوة: البيهقي ٣٥٥/٢.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٧٥/٢٩، حديث رقم ١٧٨٣٥والعبارة "يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ".

غير (رقم) أو وحدة قياس (أرضية) مما كان معروفاً ومتداولاً في زمان الإسراء والرسالة المحمدية نفسها، وذلك يدل دلالة قاطعة – بل إعجازية – على حكمة الله سبحانه وتعالى – وهو الحكيم – في كتم سرعة البراق بالمقاييس الأرضية لأنها متغيرة – متطورة – في كل جيل، أو قرن أو حتى كل آلف عام، وليس هناك (استقرارٌ) مطلقٌ ودائم لأي مفهوم – فيزيائي – في آخر المطاف.

رابعاً: المعجزة بيولوجياً وفضائياً

ولو عالجنا المفهوم (البيولوجي) لتكوين البُراق وهيئته لوجدنا مصطلحاً عربياً ليس له مقابل – مكافئ – في الانكليزية، إذ إن الوصف الذي جاء عنه في معجزة الإسراء هو (... دابة، أبيض، فوق الحمار ودون البغل) في رواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك وفي رواية شداد بن أوس معاً[1].

إذن علينا تدقيق كل كلمة، معنىً ودلالةً، فالدابةُ كل ما يمشي على الأرض، من(دب يدب) والدابةُ هي بعض الماشية كنايةً عن الجمل والفرس والحمار، إلا أنها وردت في هذه العبارة بسياق (تكامل) العلاقة بين الحمار والبغل (فوق الحمار ودون البغل). ونحن نعلم أن تزاوج الحمار والفرس ينتج البغل (العقيم) بسبب العلاقة الكروموسومية بين الخلية الجنسية للحمار والخلية الجنسية للفرس. إن الحمار والفرس من عائلةٍ واحدة هي عائلة الفرس (الخيلية)، إذ إن (- Hipp) أو (- Hippo) بادئة معناها فرس Horse وأن (Hippus) لاحقة معناها فرس أيضاً والعائلة Family هذه تنتمي إلى رتبة وتدية الأظلاف الثانوية: Sub - Order Perissodactyla من رتبة الظلفيات Order - Unqulata من الصنف الثانوي: اللبائن الحقيقية (المشيمية) Sub - Class Eutheria صنف اللبائن – الثديات Mammalia في التصنيف الخاص بعلم الحيوان – على الأرض – ورتبة الظلفيات لا يزيد عدد أصابعها على الأربعة تنتهي بالحافر Hoof، ولما كانت مقارنة البراق جرت بين (الحمار والبغل) وأن الفرس ليس طرفاً في هذه المقارنة فمن المستحيل إذن، إيجاد (شبيه) للبراق على الأرض، لأن البغل لا يُنجب، فلا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٨٥/١٩، حديث رقم ١٢٥٠٥.

نستطيع توقع علاقة (تطورية) لتغيير صفاته كما حصل للحصان مثلاً، خلال التاريخ (الجيولوجي) إذ إن أصل الحصان جنس Eohippus الذي عاش في عصر (الايوسين) في أمريكا وله أسنانٌ منخفضةٌ والأطراف ذات أربعة أصابع، والإصبع رقم (٣) أكبرها، ثم ظهر جنس Mesohippus في عصر (الاوليموسين) وكان حجمه كحجم الكلب والأطراف ذات ثلاثة أصابع عاملة، ثم ظهر جنس Miohippus في الأوليجوسين حجمه أكبر من سابقه والأطراف ذات ثلاثة أصابع، والمتوسط أكبرها، ثم ظهر جنس Merychippus في عصر (الميوسين) أسنانه مرتفعة والأصابع الجانبية ضامرة، بعد ذلك ظهر جنس (Pliohippus) في عصر (البليوسين) أكبر من السابق في الحجم وأصابعه الجانبية أثرية وكان يعيش في أمريكا الجنوبية، وأخيراً ظهر جنس Equus (ويعتقد) أنه تطور من Pliohippus في القسم الرباعي Quaternary في أوروبا. وفي الظواهر العجيبة (في نظر الجيولوجيين المعنيين) أن (نوع) الحصان بدأ ظهوره في أمريكا ثم هاجر إلى أوروبا حيث تفرعت أفرع أخرى، أما الحصان الحديث فقد ظهر في أوروبا وآسيا ثم هاجر إلى أمريكا!![1].

ربما صار ممكناً الحديث عن الحمار بالمنهج البيولوجي – الجيولوجي نفسه! لذا فإن تزاوج (الحمار والفرس) غير قابل للتحديد من حيث العمر (الجيولوجي)، ولو أن من المرجح القول بعد ظهور جنس الحصان Equus لا قبله. ولكن كيف نفسر وجود (البراق) بوصفه (التطوري) المجازي بين الحمار والبغل؟! إنه غير ممكن بيولوجياً على سطح الأرض لأنه مجهول (الأبوين)، بل مجهول عملية التزاوج والإخصاب أصلاً، لذا، وبكل تأكيد، يُعد (البراق) نفسه معجزة خاصة مع احتفاظه بشكلٍ (مورفولوجي) ذي دلالة بيولوجية قريبة من عائلة الفرس لحكمة إلهية سامية هي أن تقربه إلى نفس (العربي) المواطن بعدما تقترب من نفس العربي (الرسول) الكريم من غير عناءٍ على الرغم من إعجاز خلقه الخاص الذي (قد) يُماثل خلق (ناقة) نبي الله صالح ﷺ من غير (أبوين).

---

[1] الموسوعة البريطانية ٢٠١٠، ص١٩٧– ٢٠٥.

وسواء أكان للبراق أجنحة، حسب الشائع بين الناس أم أنه كما جاء في روايات الإسراء والمعراج (دابة) من غير أجنحة فإن معجزة (خلقه) تسبق معجزة (حركته) زمنياً وتتداخل معها وظيفياً، وفي الوقت نفسه ليس هناك فرصة بيولوجية لتمثيله على الأرض بأي حيوان، بل ليس هناك فرصة لإنجاز طفرة وراثية Mutation تجعل من أي من حيوانات عائلة الفرس ورتبة وتدية الأظلاف بُراقاً أو قريباً منه. . ! لذا فإن المقابل الانكليزي Pegasus (بيغاسوس) ليس دقيقاً إزاء معنى البراق، فبيغاسوس يعني: الفرس المجنح، وهو الذي جعل الماء يتدفق برفسه من حافره من نبع هيبوكرين في الأسطورة القديمة أي أنه (مسبوق) العلم والعمل وهذا لا يتفق مع وصف (البُراق) عند من نقل رويات الإسراء كلها. أما المقابل الانكليزي Hippogriff (الهيغريف) الذي يعني: حيوان خرافي له جسد وقائمتان خلفيتان كالتي للفرس أي أنه يشبه الغرفين Griffin في نصف تكوينه لأن (الغرفين) حيوان خرافي نصفه نسر ونصفه أسد! على أية حال، إن المعجزة تزداد إعجازاً إذا اختفى البراق من (مسرح) المعجزة الإسرائية والمعراجية أصلاً، لأن انتقال الرسول الأعظم ﷺ سيكون برعاية جبريل الأمين عليه السلام المباشرة وذلك لا يسمح لأي (مفكر) أو (عالم) يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله أن يجرؤ على مناقشة هذا الموضوع (الملائكي) الخارق بمعاييرٍ (بشريةٍ) موضوعة[1].

في تأملٍ آخر إزاء الإسراء والمعراج يقودنا البحث إلى حالة (انبهار) معينة أمام توقفات الرسول الكريم – بتوقف البراق – في كل سماء ابتداء من السماء الدنيا (الأولى) وانتهاءً بالسماء السابعة، حيث قابل في كل سماء من هذه السماوات عدداً من إخوانه الرسل والأنبياء فضلاً عن أبيه – وأبينا جميعاً– آدم عليه السلام. إذ ذكرت الروايات الصحيحة مقابلته لسيدنا عيسى ويحيى ويوسف وإدريس وموسى وإبراهيم على التوالي، إلا في استثناء رواية قدمت مقابلة إبراهيم على موسى وفي رواية لم يذكر فيها يوسف ويحيى ... لذا فإن (تبادل) (التبريكات) أو (التهاني) بلغة عصرنا بين أولئك الرسل الكرام عليهم السلام ومحمد ﷺ يعني عودة (السرعة) إلى (السكون). أي السرعة

---

[1] الموسوعة البريطانية ٢٠١٠م، ص١٩٧–٢٠٥.

(صفر)، ومن ثم الانطلاق إلى السماء الأعلى ربما بتعجيل أو تسارع Acceleration معين ثم (تخفيف) السرعة حتى تصبح (صفراً) في السماء التالية وهكذا. ليس ثمة خطأ في مثل هذا الافتراض، ولكن هناك فرصة لإلغائه تماماً بمجرد عد البراق ذا سرعة واحدة ثابتة في الانطلاق وفي التحليق معاً، ولكن بتوقف (مفاجئ) يُلغي قانون سرعته أصلاً عند التوقف نفسه فيعود ساكناً بسرعة صفر.

أما بالنسبة لاختراق البراق جاذبية الأرض، فإن الفيزياء تؤكد وجوب أن لا تقل سرعة الهروب (الإفلات) عن ١١ كم/ثانية عند انطلاقه من الأرض (مكة – بيت المقدس) نحو السماوات العلى أو في (حافة) الجاذبية الأرضية (النهائية). أما بعد اختراق نطاق الجاذبية الأرضية فإن سرعة البراق تكمن في (خطوته) البراقية — الفضائية الكونية التي تعرفنا عليها قبل قليل، هذا التقدير بناءً على معاييرنا البشرية – الأرضية. أما بمعيار الإعجاز فإن سرعة البراق (قد) تتجاوز هذا التقدير كثيراً، وبالمقابل (قد) يتوقف قانون السرعة الشرطي (١١كم /ثانية) لخرق نطاق جاذبية الأرض (جزء من المعجزة) ريثما يغادر البراق وراكبه رسول الله ﷺ جو الأرض ونطاق جذبها المعروف، نحن هنا نؤمن بالاثنين معاً حتى لو تحقق واحد منهما فقط لأننا نؤمن أيضاً أن رُسلاً كراماً قد امتطوا البراق نفسه قبل رسول الله ﷺ استناداً إلى ما ورد في شرح الإسراء، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأسمائهم.

خامساً: عودة الإسراء والمعراج

في عودة رسول الله ﷺ بعد عروجه إلى (سدرة المنتهى)، فإن المشكلات الفيزيائية البيئية والجوية المنتظرة عديدة مثل:

١- كيفية معرفة المواقع والمسافات عند دخول الكون المرئي الذي يحتوي على أكثر مليار حشد مجري وكل حشد مجري يحتوي على أكثر من ١٠٠ مجرة، وكيفية معرفة موقع الحشد المجري الكبير الذي يحتوي على الحشد المجري المحلي الذي يحتوي على مجرة درب التبانة التي تحتوي على ١٠٠ إلى ٢٠٠ ألف مليون نجم أحدهم الشمس (المجموعة الشمسية) وبعد دخوله المجموعة الشمسية كيف تمكن من

معرفة موقع الأرض من بين الآلاف أو ربما الملايين من الكواكب والصخور والأجرام السماوية المختلفة التي تحويها المجموعة الشمسية فضلاً عن وجود الطاقة المظلمة والمادة المظلمة والمادة الاعتيادية والغازات بين الحشود المجرية وبين المجرات وبين النجوم وحتى بين الكواكب في المجموعة الشمسية الواحدة[١].

٢- كيفية اختراق جو الأرض من غير أن ترتفع درجة حرارة جسمه الشريف، واحتراقه في الفضاء كما يحصل لأي (نيزك) أو أي (جسم) ليس فيه أو حوله إجراءات وقاية تتحمل مثل هذا الارتفاع في درجات الحرارة، ومعامل الاحتكاك المتنامي؛ فضلاً عن قوة جذب الأرض التي تعود إلى الظهور بشكل طبيعي.

لذا فإن (توقف) تأثير كل هذه الظواهر الفيزيائية البيئية.. بتوقف فعل قوانينها من وجهة نظر (إعجازية) يعد احتمالاً جيداً، إلا أن (نفي) احتمال (تقليل) السرعة إلى معدلٍ يمنع ارتفاع الحرارة وتأثير جذب الأرض ومقاومة ما يترتب عليهما لا يُعد صحيحاً في الواقع، لأن (التكيف البيولوجي) حصل أساساً، كما أسلفنا، أما (التكيف الفيزيائي) فيصبح نتيجةً وليس سبباً، وهو من (مسؤولية) البراق وسيدنا جبريل الأمين في آخر تقدير لحماية جسم الرسول وحياته (في تصورنا) برعاية الله وحفظه. أما إذا كان الإسراء والمعراج بالروح فقط فإن معظم تلك المعضلات وحلولها يختفي تماماً.

سادساً: موقف الباراسايكولوجي من الرحلة المعجزة

الإسراء والمعراج، إذن سلسلة معجزات من أول دقيقة بعد صلاة العشاء حتى آخر دقيقة قبل صلاة الفجر! من كل هذه المعجزات المتصلة نقف إزاء وصف رسول الله ﷺ لبيت المقدس، وهو في مكة وصفاً دقيقاً استمع إليه من (تحداه) على وصفه لإثبات مصداقيته. ولم يقل رسول الله إنه قادر على وصفه هكذا، بل قال إنه (تجلى له) وبدأ

---

(١) Guy Consolmagno and Dan M. Davis, Turn Left at Orion: Hundreds of Night Sky Objects to See in a Home Telescope - and How to Find Them , Amazon publishers , 2011,pp 125.

والسماءِ ذات الحُبك: مفاهيم وأسرار فلكية في ثنايا القرآن الكريم، النعيمي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣، ص٤٨٠، ٥٤٢.

بوصفه عياناً بالإجابة عن أسئلة من تحداه تفصيلاً حتى الاقتناع الكامل، وقد يرقى الاستشفاف (الجلاء البصري – Clairvoyance) في الباراسايكولوجي إلى ما يماثل هذه الخارقية ولا يكافئها تماماً، وقد تقابل خارقية الرؤية من بعد Remote Viewing هذه الخارقية في بعض جوانبها (الأدائية)... وليس كلها أو جميعها فإن بيت المقدس في (تجليه) لرسول الله قد يتفق مع هذا التوجه، ولكن إذا علمنا أن بيت المقدس (اقترب) منه ولم يتجلَ له من بعد فإن الموضوع يتغير تماماً، وفي كل الحالات فإن وصف الرسول الكريم ﷺ بيت المقدس لا يعني مطلقاً صورة (المرئي من قبل) (مصطلحاً =Deja Vu باللغة الإنجليزية يقابل Already Seen أو Seen Previously) لأن رسول الله ﷺ لم يتجول في (عتمة الليل) في بيت المقدس، بل صلى فيه ركعتين سنة تحية المسجد ثم ركعتين أم بهما إخوانه الرسل والأنبياء الذين صادفهم في السماوات السبع، فكيف يعتمد في وصفه على هذه (الذاكرة) المحدودة من الرؤية في الظلمة؟ إنها لمعجزة متداخلة حقاً.

إن الجلاء البصري Clairvoyance والرؤية من بعد: Viewing Remote في مفهومها الباراسايكولوجي (قد) ينطبقان على رؤية رسول الله ﷺ لقافلة قريش وإحدى دوابها قد ضلت طريقها والأخرى تعرضت لحادث، بل إن الإحساس من بعد Clairsentience قد يصلح لهذا الوصف أيضاً، إلا أنها جميعاً لا تمثل الحقيقة كاملة، إذ إن (الليل) و(سرعة حركة جسم الرسول) يضيفان إعجازاً غير مألوف إلى خارقية هذه الظواهر الباراسايكولوجية فتبقى الأخيرة دون الأولى.

أما موضوع الأحلام الصادقة Veridical Dreams وعلاقتها (بكل) معجزة الإسراء والمعراج فإنه مطروق وله مؤيدوه، وبخاصة عند أول التصريح بحصول المعجزة قياساً على (رؤيا) إبراهيم الخليل إزاء ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، بل (رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة)[1]، نريد القول: إن أصل الأحلام الصادقة – الرؤيا– هو لازمة من لازمات الأنبياء والرسل (قد) يتمتع بجزء منها (بشر) آخر، إلا أن هذا البشر لا يصير نبياً مرسلاً لمجرد (رؤياه) الصادقة، واحدة أو أكثر، مع ذلك تبقى

(١) سنن الترمذي حديث رقم ٢٢٧٨.

الأحلام الصادقة– بتواليها ودقة تحققها – مؤشراً جيداً إلى قدرة صاحبها التنبؤية من خلال الأحلام مقابل الجلاء البصري التنبؤي Precognitive Clairvoyance في اليقظة وإذا ما اجتمعت (القدرتان): الأحلام الصادقة والجلاء البصري التنبؤي معاً في شخص واحد، فلا شك أنه تصبح خارقيته مؤثرة وتستحق الانتباه والرعاية في الأرض لأنها هبةٌ من السماء.

من المتعارف عليه في الوقت الحاضر، أن هناك – خبرات خارقية – معينة ليست سهلة أو ذائعة، وهي ليست واسعة أو عميقة في مداها أو تأثيرها، إلا أنها موجودة حقاً، (وقد) تثير صلة ربط بينها وبين الإسراء والمعراج كما في ظاهرة التعويم (السباحة) في الهواء Levitation فهذه الظاهرة يأتي بمثلها كثير من الصالحين و(المحترفين) معاً إلا أنها ليست من صفات أو سمات الرسل والأنبياء، إذ حتى النبي سليمان عليه السلام لم يكن كذلك على الرغم من أنه صاحب (سطوة) نحو توجيه الريح وركوبها بما منّ الله عليه، على الاتجاه نفسه نشير إلى ظاهرة خبرة الخروج من الجسد Out - Of - The Body Experience، فإنها موجودة أيضاً ويستطيع (المحترف) أن يزاولها إلى قدر معين فيفصل (روحه) عن جسمه لارتفاع معين فينظر إلى (تحت) وجسده من بين ما ينظر إليه إلا أنه لا يستطيع الدوام على هذه الحالة إلى الأبد، أو إلى مدة طويلة لأن جسمه غير قادر على البقاء من غير (روح) وإلا (مات) فعلاً! وفي معجزة الإسراء والمعراج، كما أسلفنا، هناك من قال بالإسراء بالروح فقط، ولقد قلنا به وبتوافر الأدلة (العقلية والنقلية)، (المادية والمعنوية)، على إسراء رسول الله وعروجه في السماء جسداً وروحاً أيضاً، وقد سبق الموضع مناقشته، ويكفي أن يراجَع تفسير ابن كثير ليتبين من يشاء صحة ذلك، لذا فإن ظاهرة (الخروج من الجسد) لا تعني معرفة (سر) الروح بقدر ما تعني خارقية التعامل مع ظاهرها، وفي ذلك تأييد (لوجودها) في الجسم الحي ومع الجسم الحي وهي في آخر المطاف ردٌ على أولئك الذين لا يؤمنون (بالروح) وجوداً وتميزاً.

إن خروج (الروح) من الجسد أو الخروج من الجسد لا يعني –حتى الآن– قيام الروح الخارجة بمعجزاتٍ خارقة أو مشاهدة خوارق لا يستطيع الإنسان العادي (وروحه في داخله) رؤيتها، لذا فإن الخروج من الجسد (أول الخارقية) أما (الخارقية الأخرى) فإن

معجزات (ما بعد الخروج) هي التي تؤكد مكانتها أو قوتها، وإذا آمن المؤمن بإسراء الرسول جسماً (و) روحاً فهو الصحيح المرجّح والمتحقق، وإذا آمن (بالروح) فقط قدّر تطلعه واقتناعه، فإن عليه أن يستذكر ما حصل بعد (العودة) وفي أثنائها جيداً ليتبقى (يتيقن) من أنه لا بُد للجسم من مغادرة الأرض مع الروح لكي يتحقق الذي تحقق فعلاً والله أعلم، وأيَّ منظور للمعجزة وفق المعايير السائدة في العلم والمنطق يجردها من إعجازها الخارق ويخضعها للمعروف أو المألوف، أو يجعلها ضمن ما يمكن إدراكه (بالعقل) أو (التجريب) أو (بهما) معاً وهذا ما لا يمكن ولا يجوز لأن المعجزة بطبيعتها وتكوينها تقع خارج الاثنين معاً فكيف نحكم بهما عليها؟!

في المداخلة اللغوية – الترجمية تتبين (مواقف) المترجمين بقدرٍ مقبول إزاء هذه (الإشكالية)، الروح أم الروح والجسم، وكل موقف له مسوغه عند صاحبه ولا يصح الحكم عليه بالخطأ والصواب إلا إذا نفى (الإعجاز) أصلاً وحور المعجزة تبعاً، وهذا مما لا نفترضه سلفاً.

الخاتمة:

بناءً على ما تقدم نجد الناس في هذه المعجزة العظمى ثلاثةً:

(١) المفسرين ومنهم من يدمج الروح والجسم ومنهم من يفرد الروح فقط.

(٢) المترجمين ومنهم من يدمج (الرؤيا) الصادقة فضلاً عن الجسم والروح.

(٣) القرّاء والمتتبعين من المتخصصين في العلوم العقلية والتجريبية ولهم مواقفهم الخاصة (بهم) مما لا يعلمها إلا الله.

أما موقفنا هنا فنحن من المؤمنين بقدرة الله سبحانه على جعلها ضمن أي تصور يشاء، وهنا وبناءً على ما جاء في أعلاه أود أن أختم هذا البحث بالآتي:

بأنَ الله عز وجل قد كيّف جسم رسول الله ليتمكن من الانتقال من خلال المحيطات الكونية والسماوية المعقدة ذهاباً من الأرض إلى سدرة المنتهى وإياباً إليها، أو قد كيّف الظروف الكونية له لينتقل من خلال الأجواء والبيئة الكونية وليعرج في السماوات ويعود إلى الأرض، وبهذه الحالة يكون في أي من الحالتين تعظيماً لقدر النبي

أجّل وأسمى وإعجازٌ أكبر، لتعذر خروج البشر بهذه السرعات لقطع مسافات قد تعادل أو تزيد عن أقطار السماوات والأرض في مثل هذه الأجواء الكونية.

وأخيراً أقول: **"الإيمان أولاً ثم التحكم بالعلم"**.

المصادر والمراجع

تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فيزياء الجو والفضاء: النعيمي، حميد مجول، وفياض النجم، الجزء الثاني، إصدار وزارة التعليم العالي، العراق، ١٩٨١م.

الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم: النعيمي، حميد مجول، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠١م.

المدخل إلى علم الفلك: النعيمي، حميد مجول، وجراد مجيد محمود، مكتبة جامعة الشارقة، الإمارات، ٢٠٠٩م.

معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي، طبعة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٣م.

الموسوعة العلمية البريطانية لعام ٢٠١٠.

والسماءِ ذات الحُبك: مفاهيم وأسرار فلكية في ثنايا القرآن الكريم: النعيمي، حميد مجول، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣.

Guy Consolmagno and Dan M. Davis, Turn Left at Orion: Hundreds of Night Sky Objects to See in a Home Telescope - and How to Find Them, Amazon publishers, 2011.

Lawrence M. Krauss, A Universe from Nothing, Amazon publishers, 2012.

Vakoch, Douglas A, Extraterrestrial Altruism, Evolution and Ethics in the Cosmos, Series: The Frontiers Collection, Springer, New York/ Heidelberg/ Melbourne, 2013.